

حديث افتراق الأمة (الدراسة)

نثار احمد*

عبدالرؤف ظفر**

فإن من سائر الأديان عند الله الدين الإسلام وهو الدين الذي قد رضي الله لعباده كما هو يقول: ورضيت لكم الإسلام ديناً (المائدة، 3) وفي مقام آخر "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران، 19) فالمقتضى هو التمسك بدينه والحذر من التفرق والشعوب عن الحق ويريد السلامة والوحدة والمحبة والإخوة بين جميع الناس عامة والمسلمين خاصة. ولذا يقول: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفاخرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (آل عمران، 102)

والآية مبيّنة واضحة لعدم التفرق، والإختلاف وتدرس الوحدة والاتفاق والألفة بين الناس. والمعنى "ولا تفرقوا" "وكم يقول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: "متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخواناً، فيكون ذلك منعاً لهم عن التقاطع والتدابير(1)"

وبالجملة آية دلّت على تحذير الافتراق ونشأة السلامة والألفة كما فسر القرطبي: "فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الإختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، الذي يتم به مصالح الدنيا والدين. والسلامة من الإختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين"(2)

فالإختلاف باب واسع جداً لا بُد أن نشرح معناها أو مفهومها قبل بيان أنواعها وأقسامها والفرق بين الإختلاف وافتراق وغير ذلك من أهم مسائلها.

تعريف الاختلاف وأنواعه:

الإختلاف هي من الخلاف، يقول ابن منظور: والخلاف: المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافاً. وفي المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه.(3)

وقال الراغب الأصفهاني: "أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل الضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الإختلاف بين الناس في القول قد يقتضى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة.(4)

وفي ألفاظ أخرى نقول: إن الخلاف قد صدقت على تباين الأفكار والآراء وغير ذلك من المواقف والأمر. والعلاقة بين الخلاف والتفرق، هو أعم من التفرق، يقول ابن منظور: والفرقة: مصدر الافتراق. قال الأزهري: الفرقة اسم يوضع المصدر الحقيقي من الافتراق وفي حديث ابن

* أستاذ مساعد، بقسم الدراسات الدينية، جامعة فورمان المسيحية كلية، لاهور، باكستان

** أستاذ، رئيس قسم الدراسات الإسلامية، جامعته سرجودها، لاهور كمپس، باكستان

مسعود: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم، بمعنى ركعتين و مع ابى بكر و عمر ثم تفرقت بكم الطرق، اى ذهب كل منكم إلى مذهب وقال إلى قول وتركتم السنة- و فارق الشئ مفارقة وفراقا: بآينه والإسم الفرقة-(5)

فالمأخوذ من التعريف الإفتراق أوالفرقة هو الانقطاع والمباينة والمفارقة من الجماعة- ولقد ذم الله تعالى في "الفرقان" المفارقة والتفريق بين المسلمين ونهى عنه، فالآيات في هذا الموضوع كثيرة التى تنطق على كراهية المتفرق وإحذارها، لأن التفرق والتنازع والتفاخر من الأسباب التى هلك الأهم السابقة -

فقال: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (6)

وقال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ (7)

وقال: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (8)

وقال: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (9)

وقال: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (10)

وقال: وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا-(11)

والرسول صلى الله عليه وسلم منع أمته من التفرق والتنازع و مثل ذلك من الأمورالفاصلة الداعية إلى التفرق والنزاع- ورغب أمته إلى الوحدة والجماعة: وعن ابى هريرة رضى الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ " ¹² والاحاديث النبى كثيرة فى هذا المعنى، وأما حديث افتراق الأمة ففيه التفصيل والتوضيح سنبيتها إنشاء الله بعد بيان أنواع الإختلاف والإفتراق-

ومن الحقائق الثابتة أن إختلاف الآراء والتفكير يوجد بين الناس منذ نشأة الإنسان أخذ ينظر نظرات فلسفية إلى الوجود أو الكون ولذا نحن نقول أن النظرات تثير على الناس باختلاف ما تقع عليهم أنظارتهم ولما رجع الإنسان خطوات فى مذهب المدنية والحضارات واتسعت فرجات الخلاف، فقدينقل الشاطبى قول المفسرين فى تفسير أية "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم" منهم عطاء قال: قال اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية وهم الذين رحم ربك الحنيفية خرج ابن وهب وهو الذى يظهر لبادى الرأى فى الآية المذكورة-

وأصل هذا الإختلاف هو فى التوحيد والتوجه للواحد الحق سبحانه، فمن الناس فى عامة الأمرلم يختلفوا فى أَنَّ لهم مدبراً يديرهم وخالقاً أو جدمم إلا أنهم اختلفوا فى تعيينه على آراء مختلفة من قائل بالإنئين وبالخمسة، و بالطبيعة أو بالدهر أو بالكواكب، إلى أن قالوا بالأدمين والشجروبالحجارة وما ينحتون بأيديهم-(13)

فالإختلاف في آراء الناس وأفكارهم أمر ضروري ليس فيه إفتراق، ولا حرج فيه إذا كان لتيسير أمور الأمة لأن الإختلاف يفتح أبواب الإجتهد ولذا وسع الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بوجود الخلاف الفروعى فيهم.

ولأن النظريات لا يمكن فيهم الإتفاق عادة بخلاف الظنيات لأن إمكان الاختلاف محال لكن في الفروع دون الأصول وأيضاً في الجزئيات دون الكليات، فمثل هذه الإختلاف بين الناس نظن ليس فيه حرج لأنهم لم يبذل احكام الأصول أو الكليات.

ولو نريد أن نحصى أسباب الإختلاف بين الناس أو نعدوا في عدد محدود فلم يمكن إحصاؤها، فهي في الحقيقة كثيرة و باب واسع الذى إغلاقها محال لأن الناس مختلفون في طباعهم وعاداتهم و اعمالهم وأخلاقهم و صنائهم، وذووفنون شتى لا يحصى عددهم إلا الله.

فهنا نذكر اسباب الإختلاف بين الناس بالإختصار وهي على قسمين، القسم الأول: أسباب عامة يشترك في هذا القسم جميع الناس و القسم الثانى هي أسباب خاصة باختلاف المسلمين فنذكرها ما بين الشيعة والسنة ثم نبين فوائد الإكتلاف قبل بيان اختلاف خاصة بين المسلمين. فنبدوا من أهم أسبابها وهي: الرغبة والشهوة.

1- اختلاف الناس في الرغبة والشهوات:

إن أكثر الناس مطبوعين على الشهوات والرغبة في الدنيا و غا فلون عن أمور الآخرة ونرى كثير من الناس يتركون شهوات الدنيا والراغبون في أمر الآخرة وهم الذين يطلبون ويستلون الرحمة ويريدون أن يتقربوا إلى الله بالطاعة و العبادة، فهما يختلفا بحسب أفكارهما و آرائهما فهي من أهم فيهما اسباب الأختلاف قد وقعت بين الناس.

2- اختلاف الناس بحسب القياس والميزان:

ومن اسباب الإختلاف هي تفاوت المستعملين للقياس والموازن وقد يؤدي إلى الإختلاف بين العلماء لتفاوت آرائهم وأفكارهم كما ينقل اخوان الصفا، حيث يقول: "إعلم أنه قد يقع الخلاف و المنازعة بين المستعملين للقياس والموازن أيضاً من جهات أربع: إما بقصد من المستعملين لها دغلاً و غشاً لأغراض لهم و إما لبسهو منهم و إما بجهلهم بكيفية استعمال الميزان، وإما أن يكون القياس والميزان معوجاً غير مستو، فمن أجل هذه الوجوه يقع الخلاف والمنازعة بين أهلها، فهذه أيضاً أحد أسباب الخلاف بين العلماء في آرائهم ومذاهبهم" (14)

فالمراد بالموازنين، هم الرجال العدول اوا لحكام الذين يحكمون بين الناس عند الإختلاف كما في اخوان الصفا: "وهذه الموازين حكام وعدول نصبها البارئ تعالى بين خلقه ليتحاكموا إليها في طلب العدل والإنصاف والحقائق والاستواء ويجتنبوا الزور والخطاء والظلم والجور، ويرفعوا بها الخلاف والمنازعة من بينهم بحرز الظنون وتخمين الرأي" ¹⁵ ثم وأما الوجوه التي قد تقع بين المستعملين للقياس والموازنين ويؤدي إلى الإفتراق والنزاع فهي 1- إما بقصد من المستعملين لها دغلاً

و غيشا لأغراض لهم 2- وإما بسهومتهم 3- وإما بجهلهم بكيفية استعمال الميزان 4- وإما أن يكون القياس والميزان معوجاً غير مستوفٍ من أجل هذه الوجوه يقع الخلاف والمنازعة بين أهلها" (16)

3- غموض الموضوع في ذاته /المشتبهات:

ومن أسباب الاختلاف الذي بين الأستاذ ابو زمره هو غموض الموضوع في ذاته و شرح بقول الأفلاطون في تصديق هذه النكته فقال:

"لقد تصدى الفلاسفة من قديم الزمان لدراسة موضوعات غامضة في ذاتها، والسبيل لإدراكها ليست معبدة، وطرق فهمها مختلفة، فكل يرى ما يقع عليه نظره، ويدرك ما تهديه إليه بصيرته وفكرته، ولعل الصواب يكون في مجموعها، وليس في أحادها ولقد قال افلاطون في هذا لعام: إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا أخطئوه في كل وجوهه، بل أصاب كل إنسان جهة، ومثال ذلك عميان إنطلقوا إلى فيل، وأخذ كل منهم جارحة منه فحسها بيده- ومثلها في نفسه، فأخبر الذي مس الرجل أن خلقه الفيل طويلة مستديرة شبيهة بأصل الشجرة، وأخبر الذي مس الظهر أن خلقته تشبه الكهضبة العالية، والرابية المرتفعة، وأخبر الذي مس أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره، فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك، وكل يكذب صاحبه و يدعى عليه الخطاء والجهل فيما يصفه من خلق الفيل، فانظر إلى الصدق كيف جمعهم، وانظر إلى الكذب والخطاء كيف دخل عليهم حتى فرفهم، وكثيراً ما يكون الاختلاف لا لغموض الموضوع في ذاته بل يكون لأن كلاً المختلفين لم يعرف وجهة نظر الآخر، واختلف نظرهما في الموضوع الواحد، ولذلك كان سقراط يقول: إذ عرف موضوع النزاع، بطل كل نزاع" (17)

4- التقليد والجمود والجهل:

ومن أهم اسباب الاختلاف هي تقليد السلف أو السابقين بجهل وعدم شعور ومن غير أن ينظر المقلدون نظرة عقلية مجردة- والمرادنا بالتقليد الذي يؤدي إلى الاختلاف هو التقليد لكل ما يتلقفه الشخص دون تمحيص و دراية، بل إذا أعجب برأي نافع عنه ودعا إليه تقليداً عن جهل- فاتباع الأئمة على علم وهدى وبصيرة أمر مشكور¹⁸ وهذا التقليد ينشأ بها التعصب وإن كان التصب كثير أو شديد فالاختلاف الشديد وهي يسبب النزاع والجدال-

5- (الاتجاه) اختلافات الصنائع والعلوم خصوصاً القياسيات:

ومن أسباب الاختلاف بين الناس العلوم وأن أكثر العلوم التي تحصل الإنسان إنما هو بطريق القياس (كما ينقل في رسائل اخوان الصفا) والقياسيات مختلفة وكثيرة: "أن علم الإنسان إنما هو بطريق القياس، والقياسيات مختلفة الأنواع كثيرة الفنون كل ذلك بحسب أصول الصنائع والعلوم وقوانينها، مثال ذلك أن قياسات الفقهاء لا تشبه قياسات الأطباء ولا قياس المنجمين يشبه قياس النحويين ولا المتكلمين ولا قياسات المتفلسفين تشبه قياسات الجدليين وهكذا قياسات المنطقيين في

الرياضات لا تشبه قياسات الجدليين ولا تشبه قياساتهم في الطبيعيات ولا في القياسات والالهيات، وهكذا الحكم في سائر الصنائع والعلوم”(19)

حديث افتراق الأمة (الدراسة)

إن الإسلام هو الدين الذي يدعى الأمة إلى الوحدة والاتفاق والإجماع الناس- وينهى عن التفرق والبغى والإنقسام وغير ذلك من الأمور التي يؤدى إلى الإفتراق- فالإسلام وحدة هو السبيل والأبأس الذى يلبع منه إيجاد المجتمع المتكامل لأن تعاليمه هو الجماعة ليس الإفتراق والتفرد وهذا ابو درداء وانس رضى الله عنهما يذكرنا لنا: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى شئ من الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله قال ثم انتهرنا قال يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وهج النار ثم قال أبهنا أمرتم أو ليس عن هذا نهيتم إنما ملك من كان قبلكم بهذا- (20)

وأما حديث افتراق الأمة الذى وردت فى كتب الحديثية من طرق عديدة- فقد تكلم فيها المحدثون وأئمة الجرح والتعديل من حيث صحتها وضعفها- سنيين بتبانيث اقوال العلماء فيها وما حكموا عليها- فالخلاف ما وقعت فى احكام الدين من زمن الصحابة والتابعين إلى الآن هي فى احكام الإجتهدية مثل فى وقت الصلاة من حيث تقدمها وتأخرها وليس الإختلاف فى اصل النص والشرعية مثل اجزائ الإيمان- من التوحيد والرسالة والآخرة وإيمان بالملائكة وغير ذلك من اركان الإسلام مثل الصلاة من حيث عددها والصيام والحج- فلم يختلف الأمة فى هؤلاء الأحكام الشرعية- فالنص الحديث الافتراق هي:

”قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى على اثنتين وسبعين فرقة“²¹ فقد روى هذه الرواية الترمذى، ابو داود، وابن ماجه- وغير هؤلاء ، احمد بن حنبل، والحاكم والبيهقى- فنذكرهما أولا بطريق ابى هريرة رضى الله عنه:

الأول: ينقل ابو داود فى سننه: حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة“ (22)

والثانى: ينقل الترمذى بقليل التغيير فى الفاظ الحديث كما ”تفرقت“ ”والنصارى مثل ذلك“ حدثنا الحسين بن حريث ابو عمار حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة- (23)

والثالث: ينقل الحاكم فى مستدركه: عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة (24)

والرابع: والبيهقي في سننه الكبرى يقول: وقد أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروزباري في كتاب السنن أنبا أبو بكر محمد بن بكر ثنا أبو داود ثا ومب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقرت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وافتقر أمتي على ثلاث وسبعين فرقة - (25)

فحديث أبي هريرة رضي الله عنه باعتبار جميع طرقها التي جاء فيه محمد بن عمرو فقد تكلم فيه أئمة الجرح والتعديل. يقول ابن حجر: هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، صدوق له أوام (26)

ونقل ابن حجر في التهذيب: ليس هو ممن تروى رجل صالح ليس بأحفظ الناس للحديث، ما زال الناس يتقون حديثه، ليس بقوى الحديث ويشتبه حديثه، صالح الحديث يكتب حديثه وهو شيخ، ليس به بأس، ثقة، له حديث صالح أرجو أنه لا بأس به، هو وسط وإلى الضعف ما هو، لم يكن به بأس. كثير الحديث يستضعف²⁷ وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من أهل المدينة و يقول، محمد بن عمرو من أنفسهم، توفي بالمدينة سنة أربع وأربعين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور، وكان كثير الحديث يستضعف²⁸. روى عنه، سفيان ثوري وسفيان بن عيينة، شعبه بن حجاج، عباد بن عباد، عباد بن عوام، الحسن بن صالح بن حي، يحيى بن سعيد القطان، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: سئل يحيى بن معين عن محمد بن عمرو، فقال ما زال الناس يتقون حديثه، قيل له، وما علة ذلك؟ قال: كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشئ، من رأيه ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة²⁹ نقول من أقوال كل هؤلاء العلماء وغيرهم نرى أنهم لم يضعفوا حديث أبي هريرة رضي الله عنه بطريق محمد بن عمرو. وإن كانوا كلّموا عليه ولكن ليس جرحهم من باب التشديد والتضعيف وقد نقل الإمام الترمذي بعد نقل هذا الحديث في جامعه: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح (30)

وأما حديث محمد بن عمرو بطريق عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي الألفاظ والزيادة في الحديث التي قد مرت وكانت هي حديث أبي هريرة رضي الله عنه. فقد كَلَم الناس عليها لأن فيها خُفّة وضعف ولأن موقوف على محمد بن عبدالله بن عمرو. ينقل الإمام الترمذي: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمّه علانية، ليكون في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة. كلّها في النار إلا واحدة. قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي (31)

وقد أخرج أبو داؤد في سننه: حدثنا أحمد بن حنبل و محمد بن يحيى قال حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان و حدثنا عمرو بن عثمان، قال حدثنا بقية قال حدثني أزهري عن عبد الله الحزازي عن أبي عامر الهوزني عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قام فينا فقال ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال لا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين و سبعين ملة و إن هذه الملة ستفترق على ثلاث و سبعين ثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة وهي الجماعة³²

وقد أخرج ابن ماجة في سننه عن عوف بن مالك: حدثنا عباد بن يوسف حدثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة، فواحدة في الجنة و سبعون في النار، و افترقت النصارى على ثنتين و سبعين فرقة فإحدى و سبعون في النار و واحدة في الجنة والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث و سبعين فرقة واحدة في الجنة و ثنتان و سبعون في النار قيل يا رسول الله - من هم؟ قال: الجماعة (33)

وهذا الطبري ينقل في تفسيره مثل رواية عوف بن مالك عن أنس بن مالك:

يقول حدثني المثني قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح: أن الأوزاعي حدثه، أن يزيد الرقاشي أنه سمع أنس بن مالك قال- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى و سبعين فرقة، و إن أمتي ستفترق على اثنتين و سبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، قال، فقيل: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟ قال فقبض يده وقال: الجماعة. (34)

الكلام على أسانيد روايه الترمذی، وابی داؤد وابن ماجة والطبري و غير هؤلاء كلهم من خرج هذه الرواية بالمعنى أو بزيادة الفاظ مثل أحمد بن حنبل في مسنده³⁵ وابن كثير في تفسيره³⁶ و أبو يعلى الموصلي في مسنده³⁷ أما رواية الترمذی، هي رواية الأولى، ففي سند هذه الحديث جاء عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي، فقد تكلم فيه العلماء و ضعفوه يقول ابن حجر في التهذيب:

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن ذر بن يحمى بن معد يكرب بن اسلم ابن منبة بن النمادة بن حيول الشعباني أبو أيوب و يقال أبو خالد الأفريقي القاضي عداة في أهل مصر روى عن أبيه و أبي عبد الرحمن الحبلي و عبد الرحمن بن رافع التوخي و زياد بن نعيم الحضرمي و عمران بن عبد المعافري و أبي عثمان مسلم بن يسار الطنيزي... و عنه الثوري، ابن لهيعة، و عبد الله بن مبارك، أبو خيثمة، أبو أسامة، رشدين بن سعد، عبد الله بن يحيى البرلسي، يعلى بن عبيد، جعفر بن عون، عبد الله بن يزيد المقرئ و غيرهم.. و قال عمرو بن علي كان يحيى لا يحدث عنه و ما سمعت عبد الرحمن ذكره إلا مرة قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو مليح الحديث ليس مثله غيره في الضعف. (38)

و ذكر الخطيب في تاريخه: أبو بكر المروزي عن أحمد بن حنبل: منكر الحديث³⁹ و نقل عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح و لتعديل عن أبيه يقول سألت أبي و أبا زرعة عن الأفريقي و ابن

لهيعة أيها أحب إليكما؟ قالوا: جميعا ضعيفين وأشبهما الإفريقى.⁴⁰ نقل المزي و يقول سعيد بن عمرو البرذعي: قلت يعنى لأبي زرعة: يروى عن يحيى القطان أنه قال: الإفريقى ثقة ورجاله لا نعرفهم، فقال لي أبو زرعة: حديثه عن هؤلاء لا ندري، ولكنه حدث عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، فيمن أتى بهيمة، وهو منكر قلت فكيف محله عندك؟ قال: يقارب يحيى بن عبيد الله و نحوه-(41)

و يقول فيه الترمذى: وَحَدِيثُ زَيْدٍ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْرِيقِيِّ- وَالْإِفْرِيقِيُّ هُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ضَعْفُهُ يَحْتَجُّ بِنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ وَغَيْرِهِ " قَالَ أَحْمَدُ: لَا أَكْتُبُ حَدِيثَ الْإِفْرِيقِيِّ. وَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقْوِي أَمْرَهُ، وَيَقُولُ: هُوَ مُقَارِبُ الْحَدِيثِ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ مَنْ أَدَّنَ فَهُوَ يُقِيمُ" (42)

فقد انكشفت حالة الراوى بأقوال العلماء فيه فإن الجمهور يجمعون على ضعفه كما بينا، فكيف نستدل بها أن كل فرقة الاسلام، في النار، سوى الواحدة؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ- (43) وهذا محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني قد شرح في كتابه "حديث افتراق الأمة إلى نيف و سبعين فرقة" حديث الافتراق وما جاء في الحديث كلها هالكة إلا فرقة واحدة، فقال: ولا شك أنه قد ثبتت في كتب السنة كما سمعته، ولكنه قد نقل السيد العلامة الحافظ عز الدين محمد بن ابراهيم الوزير رحمه الله عن محمد بن حزم في بعض رسائله ما لفظه: قال الحافظ ابو محمد بن حزم: إِنَّ الزيادة يقوله: "كلها هالكة إلا فرقة" موضوعة، وإنما الحديث المعروف "إنها تفترق إلى نيف و سبعين فرقة" لا زيادة على هذا في نقل الثقات. و من زاد على نقل الثقات في الحديث المشهور، كان عند المحدثين معلما ما زاده غير صحيح، وإن كان الراوى ثقة-(44)

وأما رواية أبي داود وهي حديث معاوية رضى الله عنه بن أبي سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في سندهما أزهري بن عبد الله بن جميع وعنه صفوان بن عمرو الحمصي. تكلم فيهما أئمة الجرح والتعديل.

يقول المزي فيه: أزهري بن عبد الله بن جميع الحرازي الحميري الحمصي ويقال: هو أزهري بن سعيد، و روى عن تميم الداري مرسلاً وعن شريق الهوزني، مسلم بن سليم والنعمان بن بشير و روى عنه الخليل بن مرة و صفوان بن عمرو و عمر بن جعثم والفرج بن فضالة.⁴⁵ ونقل ابن حجر في التهذيب: وقد قال ابن الجارود في كتاب الضعفاء كان يسب عليا. وقال أبو داود: إني لأبغض أزهري الحرازي ثم ساق بإسناده إلى أزهري قال: كنت في الخيل الذين سبوا أنس بن مالك فأتينا به الحجاج. وذكر ابن الجوزي عن الأزدى قال: "يتكلمون فيه". قلت: لم يتكلموا إلا في مذهبه وقد وثقه العجلي و فرق ابن حبان في الثقات بين أزهري بن سعيد وأزهري بن عبد الله ثم ذكر أزهري بن عبد الله الراوى عن تميم وعنه الخليل بن مرة. وقال: إن لم يكن هو الحرازي فلا أدري من هو ثم ذكر أزهري بن

عبد الله. قال كنت في الخيل الذين سبوا أنسا وأخرج ذلك بسنده من طريق عبد الله بن سالم الأشعري عنه فجعل الواحد أربعة -والله الموفق-. (46)

و قال ابو حاتم الرازي: ازهر بن عبدالله بن جميع الحرازي روى عن تميم الدارى، مرسلًا- (47) وصفوان بن عمرو الضبي الحمصي الصغير روى عن علي بن عياش و بشر بن شعيب بن أبي حمزة و عبدالوهاب بن نجدة وغيرهم من اهل حمص وعنه النسائي وقال لا بأس به- (48) وأما رواية ابن ماجه وهي حديث عوف بن مالك فجاء فيه راشد بن سعد فقال فيه ابن سعد: كان من اهل حمص، وكان ثقة، مات سنة ثمان ومئة في خلافة هشام بن عبدالملك - (49)

و ذكر ابن حجر في التهذيب فقال وقال الخلال عن احمد لا ينبغي أن يكون سمع منه و قال ابو زرعة راشد بن سعد بن سعد بن ابي وقاص مرسل، قلت وفي روايته عن أبي الدرداء نظرو ذكر الحاكم أن الدارقطني ضعفه وكذا ضعفه بن حزم و قد ذكر البخاري أنه شهد صفين مع معاوية- (50)

وعوف بن مالك، قال المزى فيه صاحب رسول الله شهد فتح مكة مع رسول الله. ويقال: كانت معه راية أشجع يومئذ ثم نزل الشام و سكن دمشق، و كانت داره بها عند سوق الغزل العتيق- روى عن النبي صلى الله عليه وسلم- و روى عنه- جبير بن نفير، حبيب بن عبيد، راشد بن سعد وغير ذلك- (51)

و أما رواية الطبري وهي حديث انس بن مالك جاء في سننه يزيد بن ابان الرقاشي فقد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل ذكره ابن سعد في الطبقات، ففي الطبقة الثالثة من أهل البصرة، وقال كان ضعيفا قدرًا⁵² وذكره ابو حاتم الرازي في الجرح والتعديل يقول: قال ابو طالب: سمعت احد بن حنبل يقول: لا يكتب حديث يزيد الرقاشي- قلت له: فلم ترك حديثه، تهوى كان فيه؟ قال: لا ولكن كان منكر الحديث⁵³ ويقول ابو حاتم: كان واعظا بكاء كثير الرواية عن انس بما فيه نظر، صاحب عبادة وفي حديثه ضعف⁵⁴ و جمع المزى اقوال العلماء فيه فينقل: قال عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه: هو فوق ابان بن ابي عياش، و كان يضاعف- وقال في موضع آخر: و كان شعبة يشبهه بأبان- وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ضعيف وقال ابو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: رجل صالح وليس حديثه بشيء قال عباس الدوري عن يحيى بن معين: ميمون بن سياه و يزيد الرقاشي و زياد النميري كلهم ضعفاء- وقال ابو عبيد الأجرى: سألت أبا داود عن يزيد الرقاشي فقال: فقال رجل صالح: وقال يعقوب بن سفيان: فيه ضعف (55)

ويقول ابن حبان البستي: و كان من خيار عباد الله من البكائين بالليل في الخلوات، والقائمين بالحقائق في السبرات، ممن غفل عن صناعة الحديث و حفظها ، واشتغل بالعبارة وأسبابها حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن انس عن النبي عليه السلام وهو لا يعلم فلما كثر في روايته ما ليس من حديث عنه إلا على سبيل التعجب، و كان قاصا، يقص بالبصرة ويبكى الناس... لكن حديثه ليس بشيء (56)

وقال البخارى في تاريخه الكبير: تكلم فيه شعبة⁵⁷ وإذا عرفنا الحديث من جهة السندهما ما قيل فيها من الجرح والتعديل فنقول يبدأ الإشكال فيها من جهة أخرى فهو، أنهم ينقلون "أكثر الهلاك والكون في النار" كما هي مرت في الأحاديث الواردة. ولكن هي منافي الأحاديث البخارى و مسلم: اللذان أخرجاً أن كثيراً عن الذين يدخلون الجنة، هم أمة محمدية من سائر أمة الأنبياء.

أخرج البخارى في باب كيف الحشر والمسلم في باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة. عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحواً من أربعين رجلاً فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فقلنا نعم. فقال: والذي نفسى بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر (58)

وأخرى ابو داود في سننه حديث "أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة" (59)

ومثل هذه الأحاديث وجدنا في كثير من كتب السنة ألقى الدالات على سعة بارى تعالى. ولكن نترك بيانهم بسبب الطولة. ثم فأحسن الكلام فيه ما يقول الصنعاني: "ولما كان حديث الافتراق مشكلاً كما ترى، أجاب بعضهم: بأن المراد بالأمة فيه، أمة الدعوة لا أمة الإجابة! يعنى أن الأمة التى دعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته، هي المفترقة إلى تلك الفرق، وأن الأمة الإجابة هي الفرقة الناجية. يريد بها من آمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فلا إشكال (60)

يقول ابن تيمية: "الحديث (حديث افتراق الأمة) صحيح مشهور في السنن والمسند، كسنى ابى داود والترمذى والنسائى وغيرهم" (61)

يقول الحافظ العراقى: حديث افتراق الأمة وفيه "الناجي منهم واحدة" قالوا: ومن هم؟ قال "أهل السنة والجماعة" الحديث رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة" فقالوا: من هي يا رسول: قال "ما أنا عليه وأصحابي" ولأبى من حديث معاوية و ابن ماجة من حديث عوف وانس بن مالك وهي الجماعة و أسانيداً جيداً (62)

يقول الشوكانى في فتح القدير عند تفسير الآية "وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" (الأعراف 181) يعنى: أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره لهذا الحديث مالفقظه: و حديث افتراق الأمم في موضع آخر انتهى قلت: أما زيادة كونها في النار إلا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم إنها: موضوعة. (63)

وبالجملة نقول بعد بيان الحكم على الحديث، ان الحديث... حسنه جمهور العلماء والمحدثين كالحافظ ابن حجر وصححه بعضهم كشيخ الاسلام ابن بيمية بتعدد طرقه، والعمل بها عند الجمهور.

هوامش

- 1 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري، الجامع لاحكام القرآن، (تفسير قرطبي)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت-ص، ب- 1401/2
- 2 المصدر السابق، 1406/2
- 3 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بنمكرم ابن منظور الافريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت-90/9
- 4 الاصفهاني، الراغب، معجم مفردات الفاظ القرآن، المكتبة الشاملة، ص: 294
- 5 ابن منظور، لسان العرب، 300/10
- 6 آل عمران: 103
- 7 آل عمران: 105
- 8 الأنفال: 46
- 9 الأنعام: 159
- 10 المؤمنون: 52
- 11 القرآن، الروم: 31-32
- 12 القشيري، مسلم بن حجاج، الجامع الصحيح، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض- كتاب الأفضية 1715
- 13 الشاطبي، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي، الاعتصام.. مكتبة الرياض الحديثة، البطحاء-الرياض 166/2
- 14 اخوان رسائل الصفاء وعلان الوفا، (دار صادر، بيروت، 1957ء) 448/3
- 15 المصدر السابق 448/3
- 16 المصدر السابق
- 17 ابوزمرة، محمد احمد، المذاهب الإسلامية، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ص: 6-7،
- 18 الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير، حديث افتراق الأمة إلى نيّف و سبعين فرقة، ص: 34 تحقيق، سعد بن عبد الله بن سعد السعدان، دارالعاصمة للنشر والتوزيع، سعودي عرب ط: 1415هـ بجرى
- 19 اخوان الصفاء، 444/3
- 21 ابو داؤد، سليمان بن اشعث ، السنن، دارالسلام للنشر والتوزيع، الرياض، رقم الحديث: 4596
- 22 ابو داؤد ، السنن ، رقم الحديث 4596
- 23 الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، السنن/الجامع، دارالسلام للنشر والتوزيع، الرياض، رقم الحديث 2640
- 24 الحاكم، مستدرك على الصحيحين، دارالكتب العلمية بيروت 1990م، 47/1
- 25 احمد بن حسين ابن علي البيهقي السنن الكبرى، دارالمعرفة بيروت 1355 هجرى، 408/10
- 26 ابن حجر، شهاب الدين، احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى 852، تقريب التهذيب، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 196/2
- 27 ابن حجر، شهاب الدين، احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى 852، تهذيب التهذيب، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 333-4/9
- 28 ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، 363/1
- 29 المزى، جمال الدين ابو الحجاج يوسف المزى، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 216/26
- 30 الترمذي الجامع رقم الحديث ص: 600

- 31 الترمذى رقم الحديث 2641
- 32 ابو داؤد رقم الحديث 4597
- 33 ابن ماجة ، رقم الحديث 3992
- 34 الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، دارالمعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان- 74/7
- 35 احمد بن حنبل ،المسند،موسسة الرسالة،بيروت،لبنان ،باب مسند انس بن مالك، 309/24
- 36 ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، دارالكتب العلمية بيروت ، 149/3
- 37 ابو يعلى الموصلى، المسند دارالكتب العلمية بيروت 1998م تحقيق، عبدالقادر عطا، 358/4
- 38 ابن حجر تهذيب التهذيب 6/ 219
- 39 الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي الخطيب ، تاريخ بغداد، دارالكتاب العربي، بيروت، لبنان- 216/10
- 40 ابن ابي حاتم، ابو محمد عبدالرحمن ابن ابي حاتم الجرح والتعديل، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدرآباد دكن- الهند 1953ء، 1111/5
- 41 المزى ،تهذيب الكمال 215/7
- 42 الترمذى الجامع ج: 199
- 43 البخارى ،الجامع ج: 128
- 44 الصنعاني، محمد بن اسماعيل الأمير، حديث افتراق الأمة إلى نيّف وسبعين فرقة ص: 97 تحقيق سعد بن عبدالله بن سعد المسعدان- دارالعاصمة للنشر والتوزيع، الرياض 1415هـ جري
- 45 المزى تهذيب الكمال 327/2
- 46 ابن حجر تهذيب التهذيب 205/1
- 47 ابو حاتم الرازي الجرح والتعديل 312/2
- 48 ابن حجر التهذيب 239/5
- 49 ابن سعد الطبقات 456/7
- 50 ابن حجر تهذيب 226/3
- 51 المزى تهذيب الكمال 443/23
- 52 ابن سعد للطيات 245/7
- 53 ابو حاتم الرازي الجرح والتعديل 251/9
- 54 ابو حاتم الرازي الجرح والتعديل 252/9
- 55 المزى تهذيب الكمال 67/32
- 56 ابن حبان، او حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي، المكتبة الشاملة، المجروحين 98/3
- 57 البخارى، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل، تاريخ الكبير، المكتبة الشاملة، 3166/8
- 58 البخارى ،رقم الحديث 6163
- 59 ابو داؤد السنن 4278 و احمد بن حنبل المسند 410-418
- 60 الصنعاني حديث افتراق الأمة ص: 56
- 61 ابن تيمية، تقى الدين ابوالعباس احمد بن تيمية، مجموع فتاوى، 345/3
- 62 الحداد، محمود بن محمد ، تخرج احاديث احياء علوم الدين للعزاقى، وابن السبكي والزيدي، دارالعاصمة للنشر، الرياض 1987م ط: أولى، 1870/4
- 63 الشوكاني فتح القدير 59/2